مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الرابع - المجلد الثالث والخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

في المنهج النقـدي
ـ الحلقة الثالثة ـ

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجمع العلمي ـ بغداد

المنخص

هذا بحث عرض لمنهج آمنت به بعد الطواف في المناهج النقدية الحديثة ، وطبقته على همزية احمد شوقي النبويـة ، وقـصيدة رثـاء مصطفى كامل . وفي هذا الجزء سيكون تطبيق المنهج علـى أندلـسية شوقي التي نظمها في المنفى . وسيكون التعـرض للوحاتهـا ولغتهـا وأسلوبها وصورها وتأثرها بنونية ابن زيدون وغيرها مـن التـراث ، وهو تأثر غير واضح ، لأن احمد شوقي جاوز نهج المعارضـات فـي كثير من معارضاته .

(١)

لا يعرف ألم الغربة إلا مَنْ يعانيها ، كما لا يعرف الـشوق إلا مَنْ يكابده ، وكانـت الغربـة أليمـة علـى الـشاعر احمـد شـوقي (١٨٦٩م ـ ١٩٣٢) حين نفي إلى أسبانية عندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، وأعلنت انكلترة حمايتها على مصر ، ومُنع عباس خديوي مصر من العودة إلى وطنه ، وابعدت مَنْ كان له صـلة بـه ، وتولى حكم مصر السلطان حسين كامل ، وحاول شـوقي ان يتقـرب اليه ، فنظم قصيدة ((السلطان حسين كامل))[١] :

المُلْكُ فيكم آلَ إسماعيلا لا زال بيتكمُ يظل النيلا

وفيها قال :

---

[١] تنظر القصيدة في الشوقيات ج١ ص ٢١٤ .

أأخون إسماعيلَ في أبنائه ولقد ولدتُ بباب إسماعيلا

ثم قال :

وانفضَّ ملعبه وشاهده على أنَّ الروايةَ لم تتمّ فصولا

قال الدكتور شوقي ضيف : ((وفيها تظهر نفسيته المضطربة ، فبينما يحاول أن يُرضي حينا نراه يقول : (إنّ الرواية لم تتم فصولا) مشيرا إلى أن الإنجليز لا يزالون يبيتون شرا بالأسرة العلوية ، وثاروا لهذا النذير ، وأوجسوا خشية من تأثير شعره في نفوس المصريين فأمروا بنفيه من البلاد ، واختار الأندلس مقاما له))[٢]

ركب الشاعر الباخرة من بور سعيد ، ووصل إلى برشلونة ، واستقر فيها ، غير انه كان يتألم مما آلت اليه حياته ، فهناك الغربة القاسية ، والحنين إلى الوطن ، والشكوى من ضيق الموارد لقلة ما كان يصل اليه من مال .

كان يسكن في ضاحية من ضواحي برشلونة ، وكان يسمع صوت البواخر فيتألم ويقول :

مُسْتطارٌ إذا البواخرُ رنَّتْ أوّلَ الليل أو عَوَتْ بعد جَرْسِ

ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حين أعلنت الهدنة سنة ١٩١٨م ، وسمح للشاعر أن يتجول في الأندلس ، فزار طليطلة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ، قال : ((لما وضعت الحرب الشؤمى أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه ، وهتك إزارها ، ورمَّم لهم ربوع السلم ، وجدد مزارها ، أصبحت وإذا العوادي مقصرة ، والدواعي غير مقصّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ، فقصدته من

---

[٢] شوقي شاعر العصر الحديث ص ٣١ .

برشلونة))[٣] . وطاف في الأندلس ، وكان البحتري رفيقه ، وكانت قصيدته السينية [٤] :

صُنْتُ نفسي عما يدنس نفسي وترفَّعْتُ عن جَدا كل جبسِ

تجول في ذهن شوقي وترنّ موسيقاها في أذنيه ، وكان كلما وقف بحجر أو طاف بأثر تمثل أبيات القصيدة ، وجعل يروض القول على رويها ، ويعالجه على وزنها حتى نظم قصيدة ((الرحلة إلى الأندلس))[٥] التي بثّ فيها عواطفه ، واعتزازه بالأندلس ، وحبه لمصر والحنين إليها :

إختلافٌ النهارِ والليلِ يُنسي اذكرا لي الصِّبا وأيامَ أُنسي

وسلا مِصرَ هل سلا القلْبُ عنها أو أسا جرحه الزمانُ المؤسي

ونفث الآهة الحرَّى ، وصوَّر حاله منفيا ، وآلمه ان ينعم الغرباء بوطنه:

أحرامٌ على بلابله الدَّوْ حُ ، حلالٌ للطير من كل جنسِ

وطني لو شُغلتُ بالخلْد عنه نازعتني اليه في الخلْد نفسي

شَهدَ الله لم يغبْ عن جفوني شخصهُ ساعةً ولم يخْل حسّي

وعاد الى مصرَ بعد خمس سنوات ، ونظم قصيدة ((بعد المنفى))[٦] وفيها بث حبه لوطنه :

ويا وطني لقيتك بَعْدَ يأسٍ كأني قد لقيتُ بك الشبابا

وكلُّ مسافرٍ سيؤوبُ يوماً إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا

(٢)

هذا ما كان عليه في منفاه وبعد عودته إلى وطنه ، وقد كان للمنفى أثر في شاعريته إذ عكف على التراث الأندلسي وتمثله ، وأعجب بشعر ابن

---

[٣] الشوقيات ج٢ ص ٥٢ .

[٤] ينظر ديوان البحتري ج١ ص١٩٠ ، وفي الشوقيات ج٢ ص ٥٣ : عن ندى .

[٥] تنظر القصيدة في الشوقيات ج٢ ص ٥٢

[٦] تنظر القصيدة في الشوقيات ج١ ص ٥٤،وانشدت في دار الأوبرا سنة ١٩٢٠م .

زيدون ، وكانت فرحته عظيمة حين ظهر ديوانه مطبوعـا أول مـرة بمصر سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م بعناية كامل كيلاني ، ونظم قـصيدة ((ابن زيدون))[٧] :

يا ابنَ زيدون مَرْحبا قد أطلْتَ التغيبا
إنَّ ديوانـك الـذي ظلَّ سرا مُحجبا
يشتـكي اليتـم دُرُّه ويُقاسي التغربا
صار في كل بلـدةً للأدباءِ مطلبـا

وخاطب ابن زيدون :

أنت في القول كله أجملُ الناس مذهبـا
بأبي أنت هيكـلا من فنـون مركبـا
شاعرا أمْ مصورا كنت أم كنت مطربا
أحسن الناس هاتفا بالغواني مشببـا

ومن ولعه بابن زيدون وشعره جاراه في قصيدته[٨] :

ودَّعَ الصَّبْرَ محبٌّ ودَّعكْ ذائعٌ من سِرّه ما استودعكْ

ونظم على وزنها ورويها قصيدة حيًا بها ليلى لزمي[٩] :

رُدَّت الروحُ على المضنى معكْ أحسنُ الأيام يومٌ أرجعـكْ

وعارض نونيته[١٠] :

أضحى الثنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بقصيدته[١١] :

يا نائح الطلْحِ أشباهٌ عوادينا نَشْجَى لواديك أم نأسَى لوادينا

---

[٧] تنظر القصيدة في الشوقيات ج٤ ص ٧٨ .

[٨] تنظر القصيدة في ديوان ابن زيدون ص١٦٧،قلائد العقيان القسم الثاني ص٢٢١

[٩] تنظر القصيدة في الشوقيات المجهولة ج٢ ص١٤٤ ، والشوقيات ج٢ ص ١٦٢

[١٠] تنظر القصيدة في ديوان ابن زيدون ص١٤١ وقلائد العقيان القسم الثاني ٢٤٥.

[١١] تنظر القصيدة في الشوقيات ج٢ ص ١٢٧ .

وكان شوقي قد أرسلَ من منفاه الى رئيس تحرير (الأهرام) ببيتين ، وطلب منه عرضهما على الشاعر إسماعيل صبري ليبدي رأيه فيهما فعرضهما عليه ، والبيتان هما :

يا ساريَ البرق يرمي من جوانحنا بعد الهدوءِ وبهمي عن مآقينا
ترقرق الماءَ في دمع السماء وما غاضَ الأسى فخضبنا الأرض باكينا

وجادت قريحة إسماعيل صبري بأبيات في المعنى نفسه ، وهي[١٢] :

يا وامضَ البرق كم نَبَّهتَ من شَجَنٍ في أضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماءُ في مُقَلٍ ، والنار في مُهَجٍ قد حار بينهما أمرُ المحبينا
لولا تذكر أيامٍ لَنا سلفتْ ما بات يبكي دما في الحي باكينا
يا آل ودتي عودوا لاعدمتكم وشاهدوا ويحكم فِعلَ النوى فينا
يا نسمةً ضمخت أذيالَها سحرا أزهارُ أندلس هُبي بوادينا

وأضافت مجلة (الزهراء) ثلاثة أبيات الى هذه المقطوعة وهي :

بأفق أندلس بَرْقَ يحيينا يَبيتُ يضحكُ منا وهو يُبكينا
فهل تبينت في أطلال قرطبةٍ في دار ولادةٍ دَمْعَ ابن زيدونا
ألقوا خطيآتهم في حجر هيكلهم واستعيروا ثم عادوا غير خاطينا

قال الدكتور محمد صبري إنَّ هذه الأبيات غير مذكورة في ديوان صبري ، ولكن ((فيها أنفاس صبري وحنينه ولاعجه))[١٣] .

(٣)

نظم شوقي نونيته في منفاه بالأندلس ، وفيها حَنَّ إلى وطنه مصر ، ووصف كثيرا من مشاهده ومعاهده ، وهي في ثلاثة وثمانين بيتا من البحر البسيط ، والبسيط مزدوج التفعيلة :

---

[١٢] الشوقيات المجهولة ج٢ ص ١٦٦ .

[١٣] الشوقيات المجهولة ج٢ ص ١٦٨ .

مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ

هذا هو الأساس ، وقد تحدث فيه بعض التغيرات التي تخفف من إيقاعه ، وتقطيع مطلع القصيدة :

يا نائحل / طلحأش/ باهن عوا/ دينا/ نشجن لوا/ ديك أم/ نأس لوا/ دينا

مُسْتَفْعِلُنْ / فاعِلُنْ/ مُسْتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ /فاعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ

وقع في العروضة والضرب قطع فأصبحت (فاعلن) : (فَعْلُنْ) ، وبقيت عروضة الأشطر الأولى في أبيات القصيدة (فَعِلُنْ) بخلاف عروضة المطلع لوجود حرف اللين قبل الروي .

والبحر البسيط عند حازم القرطاجني من أعلى البحور درجة[١٤] ، وعند الدكتور عبد الله الطيب من بحور الأبهة والجلالة[١٥] وقال محمد الهادي الطرابلسي إن أكثر أشعار شوقي على البسيط غزلية واجتماعية لما فيه من مرونة خاصة تتلاءم مع مختلف الأغراض[١٦] .

(٤)

تبدأ القصيدة بمخاطبة طائر الطلح[١٧] لاشتراكهما في الألم ، وشوقي لا يدري أيشجى لوادي الطير أم يأسى لواديه وهو مصر التي نفي منها وظلت الحسرات في قلبه لأنه كان يشعر باليأس من العودة الى الوطن ، ولكن ماذا يقص الطائر واليد التي قصَّت جناحيه جالت في حواشي الشاعر ، ورمى بهما البين أيكا غير سامرهما ، ورمتهما النوى بالفراق ، وأُصيب الطائر بالغربة كغربة الشاعر ، وجمعتهما المصائب . وهذا الطائر حائر لا يدري ما يفعل ، وليس لديه الا التنقل

---

[١٤] منهاج البلغاء ص ١٤

[١٥] المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ج١ ص ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ .

[١٦] خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٢٢ ــ ٢٣ .

[١٧] الطلح : واد بظاهر اشبيلية .

من غصن الى غصْن لعله يجد سلوى كما كان الشاعر يتنقل في الأندلس لعله يجد الراحة والعزاء ، ولكن أين مَنْ يأسو ويداوي جراح القلب ؟

يا نائحَ الطلْح أشباهٌ عوادينـــا نَشْجَى لواديك أم نأسَى لوادينـــا
ماذا تَقُصّ علينا غير أن يـــدا قَصَّتْ جناحك جالَت في حواشينا
رمى بنا البينُ أيكا غيرْ سامرِنا أخا الغريب وظلا غير نادينـــا
كلٌّ رمته النوى ريش الفراقُ لنا سَهْماً وسلَّ عليك البين سكينـــا
إذا دعا الشوق لم يبرح بمنصدعٍ من الجناحين عيّ لا يُلبينـــا
فانْ يَكُ الجنسُ يا بن الطلْح فرقنا إنَّ المصائبَ يجمعْنَ المصابينـا
لم تألُ مـــاءَك تَحنانا ولا ظمـــأً ولا ادكارا ولا شَجْوا أفانينـــا
تجر مـــن فَنَنٍ ساقـــا إلى فَنَـــنٍ وتسحبُ الذيلَ ترتادُ المؤاسينـــا
أُساةُ جسمك شتى حين تطلبهـــم فَمَنْ لروحكِ بالنُّطى المداوينـــا

وانتقل الشاعر الى بكاء الأندلس والحنين إلى مصر :

آها لنا نازِحَي أيكٍ باندلـــسٍ وإنْ حَلَلْنا رَفيقا من روابينـــا
رَسْمٌ وقفنا على رسْمِ الوفاء له نجيشُ بالدمع والإجلال يَثنينـــا
لفتيةٍ لا تنالُ الأرضَ أَدْمُعُهمْ ولا مفارقهَم إلا مُصليتـــــا
ولم يسودوا بدينٍ فيه منبهـــةٌ للناس كانت لهم أخلاقهم دينـــا
لم نَسْرِ من حَرَم إلا الى حَرَمٍ كالخمر من بابلٍ سارتْ لدارينا
لما نبا الخلْدُ نابت عنه نسخته تَماثُلَ الوردِ خيريا ونَسرينـــا
نسقي ثراهم ثناءً كلما نُثرت دموعُنا نُظمتْ منها مراثينـــا
كانت عيونُ قـــوافينا تحركه وكِدْنَ يُوقِظن في التربِ السلاطينا

هذه هي أندلس العرب التي ظلت تثير الذكريات ، ويقف الشاعر أمامها بإجلال ، وهنا تعود الذكرى به الى وطنه الـــذي فارقـــه علـــى كـــره ومضض :

لكنَّ مصر وإنْ أغضتْ على مِقَةٍ عينٌ من الخلْد بالكافور تسقينا
على جوانبهـا رَفَّـتْ تمائمنـا وحول حافاتها قامَتْ رواقينـا
ملاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مآربنـا وأَرْبُعٌ أَنِسَتْ فيهـا أمانينـا
ومطلعٌ لعودٍ من اواخرنـا ومَقْرب لجدودٍ من اوالينـا
بنّا فلم تَخْلُ من روَح يراوحنا من برَّ مصرَ وريحانٍ يغُادينا
كأم موسى على اسم الله تكلفنا وباسمه ذهبتْ في اليم تُلقينـا
ومصرُ كالكَرْمِ ذي الاحسان : فاكهةٌ
لحاضرين ، وأكوابٌ لبادينـا

وخاطب ساري البرق :

ياساريَ البرْق يرمي عن جوانحنا بعد الهدوءِ ويَهْمي عن مآقينـا
لما ترقرق في دمعِ السماء دمـا هاجَ البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليلُ يشهد لم تَهْتك دياجيـه على نيام ولم تهتف بساليـنا
والنجـم لم يَرنا إلا علـى قَدمٍ قيام ليل الهوى للعهد راعدنـا
كزفرةٍ في سماءِ النيل حائـرةٍ مما نردّدُ فيه حين يُضوينـا

وطلب من ساري البرق حين يجوب ظلماء العبـاب وتحتويـه سـماء النيل ،أن يحمل الى مصر تحيته ويؤاسي المنـازل الذاويـة والمغـاني الضاوية :

باللهِ إنْ جُبْتَ ظَلماءَ العُباب على نجائب النور محدوّا (بجرينا)
ترد عنك يـداه كـلَّ عاديـةٍ إنْسا يَعثْنَ فسادا أَو شياطينـا
حتى حَوَتْكَ سماءُ النيل عاليـةً على الغُيوث وإن كانت ميامينا
وأحْرَزَتْكَ شُغوفُ اللازوردِ على وَشْيِ الزبرجد من أفوافِ وادينا
وحازَك الريفُ أرجاءً مؤرجـةً رَبَتْ خمائِلَ واهتـرتْ بساتينا

ماذا يريد منه ؟

فقفْ الى النيلِ واهتفْ في خمائِله وانزلْ كما نَزَل الطَلُّ الرياحينا

وآسٍ ما باتَ يَذْوَى من منازلنـــا بالحادثاتِ ويَضْوَى من مغانينا

وخاطب نسمةَ الوادي المعطرة التي سَرَتْ سَحَرا ذكية الليل وقـد أتـت ((بالورد كتبا وبالريّا عناوينا)) ، وكان فضلها عظيما لن يقدر الشاعر على مجازاتها مهما عمل من أجلها ، وجازاها بالروح :

ويا مُعَطَّرةَ الوادي سَرَتْ سَحَرا فطاتِ كلُّ طَروح مـن مَراميـنـــا

ذكية الذيل لوخلْنا غلالتهـــــا قميصَ يوسُفَ لم نُحسَبْ مُغاليـــا

جَشِمْتِ شوك السُّرى حتى أتيت لنا بالورد كتبا وبالريا عناوينـــــا

فلـو جزيناك بالأرواح غاليـةَ عن طيب مَسْراكِ لم تنهض جوازينا

وأراد أن يحملها الشوق إلى أحبابه الذين زاد شوقه إليهم :

هل مـن ذيولـك مِسْكـيٌّ نُحمِّلُهُ غرائبَ الشوق وَشْيا من أمانينـــا

الى الذين وَجَدْنا وُدَّ غيرهم دُنيا وودهُمُ الصافي هو الدينـــــا

وظل يبث أشواقه وحنينه الى وطنه ، وقد حـاول ان يـصبر ، ولكـن الصبر نأى عنه ، ووصف الليل بالنابغي لطوله وهو يطوي دجاه بجرح من فراق الأحبة والوطن ، وعيناه لا يرقأ الدمع فيهما ، وهو يقاسي بطء الكواكب التي كانت حسرى تقاسيه . وتظل الآلام تنغـر فـي صـدره والأشجان لا تهدأ نهارا إلا بالتجلد والتأسي بخلاف الذين تهدأ أشـجانهم بالانصراف الى الأعمال :

يا مَنْ نغارُ عليهم من ضمائرنا ومِنْ مَصون هواهم في تناجينا

نابَ الحنينُ إليكم في خواطرنا عن الدلالِ عليكُم في أمانينـــــا

جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا في النائباتِ فلم يأخذ بأيدينـــــا

وما غُلبنا على دَمْعٍ ولا جَلَدٍ حتى أتتنا نواكم من صَياصينـــا

ونابغيّ كأنَّ الحشر آخـــره تُميتنا فيه ذكراكـم وتُحيينـــــا

نطوي دُجاه بجرح من فراقكمُ يكاد في غَلَس الأسحار يطوينـــا

إذا رسا النجمُ لم ترقأ محاجرنا حتى يزولَ ولم تهدأ تراقينـــا

بتنا نُقاسي الدواهي من كواكبه حتى قَعَدْنَ بها حَسْرى تُقاسينـــا
يبدو النهارُ فيخفيه تجلُّدنـــا للشامتينَ ويأســـوه تأسينـــــا

ودعا لعهده السالف بالسقيا على نهج القدماء بالدعاء ، وأخذته الذكريات الى وطنه الحبيب حيث الزمان مساعف ، والحياة هانئة ، ومضى يصف مصر وصفا جميلا ويضفي عليها صفاء الحياة حيث الشمس تختـال ، والنيل يقبل فيملأ الأرض خيرا ويردها ذهبا بعد ان كانت تشكو الظمـأ والجفاف :

سَقْيا لعهدٍ كأكنافِ الربى رِفَةً أنَّا ذهبنـا وأعطافِ الصَّبـا لينـا
إذِ الزمانُ بنا غيناءُ زاهيـةٌ تَرِفَ أوقاتُنـــا فيها رَياحينـــــا
الوِصْلُ صافيةٌ والعيشُ ناغيةٌ والسَعْدُ حاشيةٌ والدهـــر ماشينـا
والشمس تختال في العِقْيـان تحسبها بلقيسَ تَرْفُلُ في وشي اليمانينـا
والنيلُ يُقبل كالدنيا إذا احتفلت لو كان فيها وفـــاءٌ للمصافينـــا
والسَّعدُ لو دام والنعمى لواطردت والسيلُ لو عفَّ والمِقدارُ لوادينـــا
أَلقى على الأرضِ حتى رَدَها ذَهبا ماءَ لَمسنا به الاكسيرَ أو طينـــا
أعداه من يُمنه التابوتُ وارتسمت على جوانبه الأنوارُ من سِينـــا
له مبالغُ ما في الخُلْق من كـرمٍ عهدُ الكرام وميثاقُ الوفيينـــا

واخذ يفخر بنفسه وبأمجاد وطنه :

لم يَجْرِ للدهرِ إعذار ولا عُـرُسٌ إلا بأيامنـــا أَو في لياليـنـا
رَعَى السَعدُ أطغى في أعنَّتِه منا جيادا ولا أرخى ميادينـــا
نحن اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرنا ولم يُهَنْ بيد التشتيت غالينـــا
ولا يحولُ لنا صِبْـغٌ ولا خُلُـقٌ إذا تلوَّن كالحِربـاء شانينـــا
لم تنزل الشمسُ ميزانا ولا صَعَدتْ في مُلكها الضخم عرشا مثلَ وادينا
أَلمْ تؤلَّهْ على حافاتـــه ورأتْ عليه أبناءها الغُرَّ الميامينـــا
إنْ غازلتْ شاطئيه في الضحى لبسا خمائلَ السُندس الموشية الغينا

وبات كل مُجاجِ الوادِ من شَجَرٍ لوافظَ القَزَّ بالخيطـــان تَرْمينـا
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ قَبْلَ القياصر دِنَّاها فراعينـــا
ولم يَضَع حجرا بانٍ على حَجَـرٍ في الأَرض إلا على آثار بانينا

ورسم للأهرام صورة جلية ، وهي تتحدى الـزمن بقوتهـا وتتـصدى عواديه :

كأَنَّ أَهرامَ مِصْر حائطٌ نَهَضَتْ به يدُ الدهر لا بنيـانُ فانينـا
إيوانهُ الضخْمُ من عُليا مقاصرِه يُغني الملوكَ ولا يُبقي الأَواوينا
كأنها ورمالا حولها التطمـــتْ سفينةٌ غَرِقَتْ إلا أَساطينـــا
كأنها تحت لألاءِ الضحى ذَهَبـا كنوزُ فرعونَ غطينَ الموازينا

وظلت مصر في خاطره بؤرقه حبها ويتمنى ان يركـب الجـو والبـر والبحر ليصل اليها وقد هزّه الشوق وهو في منفاه :

أَرْضُ الأُبوة والميـلاد طَيَّبهـا مَرُّ الصِّبا في ذيول من تَصابينا
كانت مُحَجَّلَةٌ فيهـا مواقفُنـا غُـرّا مُسَلْسَلَةٌ المجرى قوافينـا
فآب من كرة الأيـام لاعِبُنـا وثابَ عن سنَة الأَحلام لاهينـا
ولـم نَدَعْ لليالي صافيا فدعـتْ ((بأن نَغَصَّ فقالَ الدهرُ آمينا))
لو استطعنا لخضنا الجوَّ صاعِقة والبرَّ نارَ وَغى والبْحرَ غسلينـا
سَعْيا الى مصر نَقْضي حقَّ ذاكرنا فيها إذا نَسِيَ الوافي وباكينـا

وختم القصيدة بثلاثة أبيات ذكر فيها أمه :

كَنْزٌ بحلوانَ عند اللّه نطلبـهُ خَيْرَ الودائعِ من خير المُؤدّينـا
لو غابَ كلُّ عزيزٍ عنه غيبتنا لم يَأتِه الشوقُ إلا من نواحينـا
إذا احمَلْنا لمصرٍ أَوّله شَجَنـا لم نَدْرِ أيَّ هوى الأُمين شاجينا

قال الدكتور زكي مبارك : ((وهي أبيات ما قرأتها إلا بكيت على أمي ــ يرحمها الله ــ وانظروا كيف هفا قلب الشاعر الى أمه في حلوان))[١٨]

هذه لوحات نونية شوقي وهي سَبْعٌ انتقل فيها من معنى الى معنى ، وكان الدكتور زكي مبارك قد وازن بينها وبين نونية ابن زيدون التي قال عنها انها في غرض واحد في حين ان نونية شوقي مختلفة الأغراض .[١٩] وقال الدكتور شوقي ضيف : ((إن نونية ابن زيدون كلها لوعة وحرقة وشكوى من البين والأعداء والزمن ، ومعاتبا ولادة في تضاعيف ذلك واثنائه ، اما شوقي فاستهل قصيدته بمناجاة طائر حزين يُرْسِلُ شجوه بوادي الطلح في ضاحية اشبيلية ، وكأنه يُعبّر عن حزنه ولوعته ، واسترسل في مناجاته ، ثم عطف على أحزانه وفراقه لوطنه ، ونظر الى رسوم الحضارة العربية في الأندلس ، ثم تذكر بلده وملاعبه فيه ... ووقف يُعَبر عن حنينه وشوقه لوطنه ، وكأنما اكتحلت عيناه حين جرى على لسانه بنوره ، فذهب يُشيد بأمجاده ، ويتغنى بأهرامه وبأرض أبوته وميلاده)) .[٢٠]

وقصيدة شوقي ليست مختلفة الاغراض ، وانما هي في غرض واحد يتمثل في لوعة الغربة وحب الوطن ، وهذا لا يبعد عن قصيدة ابن زيدون التي كانت شكوى من اللوعة وحنينا الى ولادة بنت المستكفي ، أي أن الوطن عند شوقي هو الحبيبة التي حن اليها وبثها شكواه ، وان ولادة عند ابن زيدون هي الحبيبة التي اشتاق اليها وبثها شكواه .

---

[١٨] الموازنة بين الشعراء ص ٣٩٠

[١٩] الموازنة بين الشعراء ص ٣٦٣ .

[٢٠] شوقي شاعر العصر الحديث ص ٧٤ .

لقد ذاق كلا الشاعرين الألم وشكا كل منهما الفراق ، وكان ابن زيدون يشتاق الى حبيبته أينما سار:[٢١]

إني ذكرتكِ بالزهراء مُشْتاقا والأُفْقُ طَلْقٌ ووجْهُ الأَرض قد راقا

وكان شوقي يشتاق الى وطنه أينما ذهب :[٢٢]

شَهِدَ اللَّهُ لم يَغِبْ عن جفوني شَخْصَهُ ساعةً ولم يَخْلُ حِسِّي

ويبحث عمن يواسيه كالطائر الذي كان يتنقل من غصن الى غصن يبحث عن المؤاسين ولكن هيهات :

أُساةُ جسمك شَتَّى حين تطلبهم فَمَنْ لروحك بالنُّطسِ المداوينا

فالوطن عند شوقي هو المعادل الموضوعي عند ابن زيدون صاحب ولادة ، ولا يبعد انتقال شوقي من لوحة الى لوحة عن انتقال ابن زيدون ، فقد خاطب نائح الطلح وشكا من الغربة وفراق الوطن ، ودعا لعهده في مصر بالسقيا حيث كان يعيش في رفاهية ورخاء ، وهفا الى مصر ووَدَّ لو استطاع أَنْ يسعى اليها بكل وسيلة ، وقريب من هذا ما صوَّره ابنُ زيدون فقد شكا ألم الفراق وحنَّ الى ولادة ، وبثها أشواقه وحبه ، وتحسر على العهد الذي نعما فيه حيث ((الأفق طلق)) والحياة نعيم ، ولم يذهب حبه لولادة ، كما لم يذهب حب شوقي لوطنه :[٢٣]

أما هواك فلم نَعْدِلْ بمنهلـــه شِرْبا وإنْ كان يَروينا فيظمينـا

لم نَجْفُ أُفْقَ جمالٍ أنت كوكبه سالين عنه ولم نهجره قالينـــا

ولا اختيارا تجنبناه عن كثبٍ لكنْ عَدَتْنا على كُرْهٍ عَوادينـــا

---

[٢١] ينظر ديوان ابن زيدون ص ١٣٩ .

[٢٢] ينظر الشوقيات ج ٢ ص ٥٥ .

[٢٣] ينظر ديوان ابن زيدون ص١٤١ ، وقلائد العقيان القسم الثاني ص ٢٤٧ .

وهذا ما عَبَّر عنه شوقي ، فهو لم يختر الغربة ويفارق الوطن ، وإنما أُجبر ، وظلت صورة مصر لا تفارقه خمس سنوات وهو في منفاه ، كما ظلت صورة ولادة لا تفارق ابن زيدون مدى الحياة .

(٥)

تحفل نونية شوقي بلغة الحب من شوق وحنين وشكوى ، ومن عذاب كل مَنْ صَدَّ عنه حبيبه ، أو اغترب عن وطنه طوعاً أو قسراً. وتُطِلّ من كل بيت كلمات تعبر عن القلب المحزون ، وألم الغربة والفراق ، فالشجا يبعث الشجا في قلب شوقي ، والشوق يهزه هزا ، والأسى يهصر عوده ، ونيل مصر يتراءى أمام ناظريه ، وعيشه الغض في وطنه تؤلمه ذكراه .

كانت ألفاظ الحزن والأسى تترى في نونية شوقي ، وكانت ومضة من (ساري البرق) تبعث في نفسه الأمل فيتحدث عن مصر ونيلها الخالد ، ويودّ لو طار اليها على بساط الريح او عباب الماء ، او سعيا على القدم .

ولغة القصيدة فصيحة نقية ليس فيها لفظة دخيلة شأنها شأن كثير من قصائد شوقي[٢٤] ، وليس فيها من غريب اللفظ إلا القليل الذي شرح في الحواشي مثل : الطلح ــ ريش ــ أفانين ــ الفتن ــ الأساة ، النطس ــ الأيك ــ الرفيف ــ منبهة ــ دارينا ــ الرواقي ــ الجدود ــ الرَّوْح ــ الشفوف ــ اللازورد ــ الأفواف ــ الصياحي ــ الرِفَة ــ الإعذار ــ الغيل ــ المجاج ــ الأواوين ــ الأساطين ــ الغسلين .

وهذه ألفاظ واضحة المعنى لمن له ذوق يدرك المعنى من السياق ، أو شدا شيئا من اللغة العربية .

---

[٢٤] فيها (القياصرة) و (الفراعين) و (فرعون) وهي أعلام .

وجمعت القصيدة بين الأُسلوبين الخبري والإنشائي ، أما الأُسلوب الخبري فقد جاء للوصف وسَرْدِ الأحداث وأما الأُسلوب الإنشائي فقد جاء في مواقف التحسر والألم ، إذ بدأت القصيدة بالنداء :

يا نائح الطلْح أشباهٌ عوادينا نَشْجَى لواديك أم نأسَى لوادينا

وهذا النداء غير حقيقي لأَن الطائر لن يُجيبه ، ولكنَّ الشاعر أراد أن يُشرِك الطائر في أحزانه ، وأن يبثه آلامه وشكواه من مصائب الدهر التي نزلت به بعد ان نُفي الى الأندلس ، وفارقَ الوطن ورفاهة العيش فيه .

وحذف الهمزة في الشطر الثاني من البيت ، لأَن التعبير المألوف : ((أنشجى ...)) وذكر أداة الاستفهام في البيت الثاني : ((ماذا تَقُصّ علينا ؟)) فنحن أعلم بما جرى ، وأَنَّ اليد التي قصت جناحيك ((جالت في حواشينا)) وأسلمتنا الى الغربة والشقاء .

واختفى أُسلوب النداء والاستفهام ، وبدأ أُسلوب الخبر : ((رمى بنا البين)) وتخلله نداء : ((فإنْ تكُ الجنس يابْنَ الطلْح فرقنا)) ، ثم ختمت اللوحة الأولى بالاستفهام :[٢٥]

أُساةُ جسمك شَتَّى حين تطلبهم فَمَنْ لروحك بالنُّطْسِ المداوينا

وتحسر الشاعر في مطلع اللوحة الثانية :((آها لنا نازِحي أَيكٍ بالأندلس)) وعاد الى النداء : ((يا سارَي البرق)) وهو نداء تمنى فيه ان يقف الى النيل ويهتف في خمائله ، ويأسو ما ذَوَى من المنازل ، وما ضَوَى من المغاني . وليس النداء والأمر هنا حقيقتين ، فساري البرق لن يلم

---

[٢٥] من طريف تعليق الدكتور زكي مبارك على البيت قوله ((فان الطائر يجد لايجد من يأسو جسمه وإنما يجد من يذبحه ويشويه ، والناس الأم من أن يطبوا الطائر الجريح)) . (الموازنة ص ٣٧٢) .

بمصر ، ولن يقف الى النيل ويأسو ما أصاب البلاد بعد سيطرة الإنجليز عليها ، وبعد ان نفوه الى الأندلس .

وظل أُسلوب النداء نُصْبَ عيني شوقي ، لأن في هذا الأسلوب استغاثة وتعبيرا عما في القلب من أحزان : ((ويا معطرة الوادي)) و ((يا من نغار عليهم)) .

ودعا لعهده السالف بالسقيا ((سقيا لعهدٍ كأكناف الربى رِفَةً)) ، وظن ان الصبر يخفف من النداء والاستغاثة والسقيا ، ولكن هيهات :

جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا في النائبات فلم يأخُذْ بأيدينا

وليس في بناء القصيدة تعقيد ، فقد جرى شوقي على الأُسلوب الفصيح الواضح ، وعلى مراعاة التركيب اللغوي المعهود ، ففي صدر المطلع قَدَّمَ الخبر على المبتدأ :

((أشباهٌ عوادينا)) ورتبته : ((عوادينا أشباه)) وحذف الهمزة في العجز :

((نشجى)) ، والأصل : ((أنشجى ...؟)) ، وحذف الهمزة زاد الاستفهام شجا وأسى .

وفصل بين أول البيت وثلثه الأخير بجملة طويلة :

كأُم موسى ــ على اسم الله تكفلنا وباسمه ــ ذَهَبَتْ في اليَمِّ تُلْقينا

وفصل بين المبتدأ والخبر بجملة تشبيهية :

ومِصْرُ كالكرم ذي الإحسان ــ فاكهة لحاضرين وأكوابٌ لبادينا

وجاء بعبارة ((بعد الهدوء)) ليعطي زمنا لساري البرق ويحدده :

يا ساريَ البرق يَرْمي عن جوانحنا ــ بعد الهدوء ــ ويُهمي عن مآقينا

وكان يحذف أحيانا :

إذا رسا النجم لم ترقأ محاجِرنا حتى يزولَ ولم تهدأ تراقينا

أي حتى يطلع النهار ، فيخفي الدمع بالتجلد والتأسي :

يبدو النهار فيخفيه تجلُّدنـــا للشامتين ويأسوه تَأسِّينـــا

وجاء بالترميع:

الوصلُ صافيةٌ والعيش ناغيةٌ والسَّعْدُ حاشيةٌ والدهْرُ ماشينـــا

وقابل بين (آبَ) و (أثاب) و (كرة) و (ســنة) و (لاعبنـــا) و (لاهينا) و (الأيام) و (الأحلام) :

فآب من كرةِ الأيام لاعِبُنا وثابَ من سِنَةِ الأحلامِ لاهينـــا

وليس في القصيدة من الزخرف ما يثقلها ، وانما هو ما اقتضاه المعنـــى واحتاج اليه التلوين الذي لم يجد شوقي منـــه محيـــدا . ومـــن ذلـــك : (نشجى ــ نأسى) ــــ (البـــين ــ النـــوى ــ (تجـــر ــ تـــسحب) ــ (جسمك ــ روحك) ــ (رســم ــ رســم) ــــ (نبـــا ــ نابـــت) ــ (نثرت ــ نظمت) ــ (مطلـــع ــ مغـــرب) ــــ (رَوْح ــ ريحـــان) ــ (يُراوحنا ــ يُغادينا) ــ (حاضرينَ ــ بادينَ) ــ (البكا ــ باكينا) ــ (إنْس ــ شياطين) ــ (يَذْوَى ــ يَـضْوَى) ــــ (جزينـــاك ــ جوازينا) ــ (دنيا ــ دين) ــ (دجاه ــ الأسحار) ــ(يأســـوه ــ تأسينا) ــ (الاكسير ــ الطين) ــ (كرم ــ الكرام) ــ (أيامنـــا ــ لياليا) ــ (تنزل ــ تصعد) ــ (سهل ــ جبل) ــــ (القياصـــر ــ فراعينا) ــ (غُرّ ــ مُحجلة) ــ (آب ــ ثاب) ــ (الجو ــ البر ــ البحر) .

وفي هذه مقابلات وتجنيس وامتداد ، ولا يستغني عنها الـــشاعر أو الكاتب حينما يعبر عن المعاني ، ويصورها بألوان الفنون .

(٦)

وَظَّفَ شوقي بعض وسائل التصوير في رسم صُورة ، ومن ذلك التشبيه بالكاف ((كالخمر من بابل سارَتْ لدارينا)) إذ شبه تنقلـــه فـــي الأندلس بالخمر التي كانت تسير بين المـــدينتين المـــشهورتين بـــالخمر

وهما : بابل وداريين . والتشبيه مرسل إذ ذكرت فيه الأداة ، ومفصّل لأن وجه الشبه مذكور وهو (السير) .

وشَبَّه نفسه بموسى ــ عليه السلام ــ حينما خافت عليه أمه من القتل وألقته في اليم ، وكذلك فعلت به مصر حينما ألقت به في الأندلس خوفا عليه من بطش الإنكليز وعملائهم : ((كأم موسى)) والتشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف وهو الخوف من فتك فرعون والإنكليز .

ومصر ((كالكرم في الإحسان)) ، وهذا تشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومفصل لوجود وجه الشبه وهو (الإحسان) .

وزفرة النجم ((كزفرةٍ في سماء الليل)) وهو تشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومفصل لوجود وجه الشبه وهو (الحيرة)

وكان عهد شوقي : ((كاكنافِ الربى رِفَةً)) أي نَضْرة ونعيما ، فهو تشبيه مرسل ومفصل لوجود (رِفة) وهي وجه الشبه .

و ((النيل يُقْبل كالدنيا إذا احتفلت)) مرسل ومفصل ، ووجه الشبه (الاحتفال) .

ولا تغير الأيام صِبْغا وخلقا ((إذا تلوّن كالحِرباء شانينا)) وهو تشبيه مرسل ومفصل ، ووجه الشبه هو الكيان الذي لا يتغير ، والخلق الذي لا يتبدل : ((ولا يحول لنا صِبْغ ولا خلق)) .

وجاء التشبيه ــ أيضا ــ بالأداة (كأنَّ) : ((ونابغي كأنَّ الحشر آخره)) إذا شبه الليل الذي لا ينتهي بآخر الحشر ، وهو تشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف وهو (الطول) .

وأبدع في تصوير الأهرام التي لم تزعزعها عوادي الدهر : ((كأنَّ أهرام مصر حائط)) ، والتشبيه مجمل ، وتقدير وجه الشبه (القوة) .

والأهرام ((كأنها ورمالا حَوْلها التطمت سفينةٌ)) أي أنها كالسفينة التي غرقت ولم يبق منها ظاهرا للعيان إلا سواريها . والتشبيه مرسل ومفصل ، ووجه الشبه (الفرق) .

والأهرام : ((كأنها تحت لألاء الضحى ذهبا كنوزٌ فرعون)) والتشبيه مرسل ، ومفصل لأن وجه التشبيه (لألاء الضحى ذهبا)) .

ومن أدوات التشبيه في القصيدة الفعل (تحسبها) : ((والشمس تختال في العقْيان تحسبها بلقيس)) والتشبيه مرسل ومفصل ، ووجه الشبه ((وشي اليمانينا)) لما فيه من ألوان زاهية تتلألأ .

وفي القصيدة تشبيه حُذفت فيه الأداة : ((تَمائلَ الورْدِ خيرا ونَسرينا)) أي : مثل تمائُل ، والتشبيه مؤكد لحذف الأداة ، ومفصل لوجود وجه الشبه وهو (الخيري والنسرين) وما فيهما من روعة وجمال .

ويقف الى جانب التشبيه في التصوير تغير الدلالة وإسناد الشيء الى ما ليس له علاقة لغوية في أصل الوضع ، ومن ذلك : ((رَمَتْه النوى)) والنوى لا ترمي فالعلاقة مجازية .

والملاعب التي كان شوقي منعما فيها لا تمرح وإنما الشاعر مرح فيها ، والأماني لا تأنس ، وانما الإنسان يأنس بها .[٢٦]

مُنَّى إنْ تكُنْ حقا تكُنْ أَحْسَنَ المنى وإلا فقد عِشْنا بها زَمَنا رَغْدا

والاحتواء هو الضم ، ولكنَّ الشاعر قال : ((حنى حوتك سماءُ النيل عاليةً)) .

وجعل للازوَرْد ثيابا رقاقا : ((وأحرزتك شفوفُ اللازورد)) التي هي من ((وشي الزبرجد)) .

---

[٢٦] البيت لرجل من بني الحارث (ينظر شرح ديوان الحماسة القسم الثالث ص ١٤١٣) .

و ((المنازل)) لا تَذْوَى ، و ((المغاني)) لا تَضْوَى وإنما هي من صفات الكائن الحي كالنبات والحيوان .

وجعل شوقي الحنين ينوب عن الدلال : ((ناب الحنينُ اليكم في خواطرنا)) والصبر لا يُدعى : ((جئنا الى الصبر ندعوه)) وإنما تجدر الإنسان نفسه على الصبر وتحمل الآلام والأحزان .

والنجم لا يرسو ، وإنما ما يشق عباب الماء يرسو .

وضح الشاعر الصَّبا أعطافا ((وأعطاف الصَّبا لينا)) .

واكسب مظاهر الطبيعة صفات الكائن الحي ، فالشمس تختال والنيل يقبل ، والسيل يعف ، وكَنَّى عن الطائر بابن الطلْح ، وهذه كناية عن النسبة مثل : (ابن دجله) للعراقي ، و (ابن بَرَدى) للسوري ، و (ابن النيل) للمصري .

وربما كَنَّى بنجائب النور عن الوسيلة التي تستقله في هذا العصر ، كما استقلت نجائبُ النوقَ الناسَ في القديم .

وأشار بعبارة ((ذكية الذيل)) الى قميص يوسُفَ ــ عليه السلام ــ حينما ألقي على وجه أبيه يعقوب ــ عليه السلام ــ فردَّ اليه بصره .

وكَنَّى عن طول الليل بالنابغي ، وفي هذا إشارة إلى بيت النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة فاصب وليل أقاسيه بطيء الكواكبِ

(٧)

لم يكثر شوقي من أدوات التشبيه وأساليب المجاز والكناية في نونيته كشأنه في كثير من قصائده ، وإنما اعتمد على الوصف ، فهو في اللوحة الأُولى صَوَّرَ خير تصوير وهو يناجي طائر الطلْح ، ويشبه آلامه التي هي آلام الطير ، وفي اللوحة الثانية صَوَّرَ حاله وهو يطوف في الأندلس وقد غلبه الدمع لولا جلال البلاد التي هو فيها وقد رقأ دمعه

تجلدا وتأسيا . وفي اللوحة الثالثة رسم صورة مشرقة لوطنه مصر الذي حُرِمَ منه خمس سنوات عجاف ، وخاطب ساريَ البرق ، ووصف ترقرق الدمع ، ومشهد الليل والنجم . ورسم في اللوحة الرابعة صورة لمعطرة الوادي التي سَرَت سحرا ، ليصل في اللوحة الخامسة الى تصوير أحزانه وحنينه الى الوطن . وتجلى تصويره البارع في اللوحة السادسة حين هاجت بهَ الذكرى وتحدَّثَ عن عهده الغابر ، وحياته الزاهية في مصر ، وعن النيل والأهرام ، وفخر بنفسه وبالوطن ، واستمر في ذلك حتى اللوحة السابعة ، التي وَدَّ لو استطاع الوصول الى مصر جوا وبرا وبحرا ، ليقضي حق الوطن ، وليرى أُمه التي حمل لها ولمصر شجنا وهو لا يَدْري أيَّ هوى الأُمَّين يشجيه ، أهوى الأُم أَم هوى الوطن ؟

(٨)

لم تكن نونية شوقي معارضة لنونية ابن زيدون بالمعنى الدقيق وإن اتحدتا في الوزن والقافية والهدف ، قال الدكتور شوقي ضيف إنَّ الشاعر ((بَعُدَ في معارضة ابن زيدون عن الأصل))[٢٧] ، وشخص محمد الهادي الطرابلسي ابرز ما اتفقت فيه القصيدتان ، وهو مناجاة البرق والنسيم ، وهو أربعة أبيات (٢٠ ــ ٢٣) في قصيدة ابن زيدون))[٢٨] :

يا ساريَ البرق غادِ القَصْر واسْقِ به
مَنْ كان صِرْفَ الهوى والود يسقينا
واسألْ هنالك هل عنّى تذكرنا إلْفا تذكره أَمْسَى يُعنينا

---

[٢٧] شوقي شاعر العصر الحديث ص ٧٥ .

[٢٨] ينظر خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٢٤٣ ، قلائد العقيان ــ القسم الثاني ص ٢٤٦ ، والموازنة بين الشعراء ص ٣٦٦ .

ويا نسيم الصَّبا بَلِّغْ تحيتنـــا مَنْ لو على البُعْدِ حيّا كان يُحيينا
فهل أَرى الدهْرَ يقضينا مُسَاعفةً منه وإن لم يكن غِبّا تقاضينـــا

وأربعة عشر بيتاً (٢٥ ــ ٤٢) في قصيدة شوقي :

يا ساريَ البرق يَرْمي عن جوانحنا بَعْدَ الهدوء ويَهْمي عن مآقينـــا

الى قوله :

إنَّ الذين وَجَدْنا ود غيرهـــم دنيا وودهم الصافي هو الدينا

وفي أبيات شوقي تفصيل بخلاف أبيات ابن زيدون الأربعة التي يسأل فيها ((البرق أن يسقي القصر ، وشوقي يسأل البرق أن يأسو المنازل الذاوية ، والمغاني الضاوية ، والمعنيان مقتربان)) ولكنَّ شوقي قدَّمَ ((صورةً شعرية لتنقل البرق من أُفقٍ الى أُفق ، وانحداره من أرض إلى أرض ، واعطى صُورا من ريف مصر ، وخمائل النيل لا تشوق إلا شاعرا وَدَّع دنياه حين وَدَّع النيل))[٢٩] .

ووازن الدكتور زكي مبارك بين القصيدتين ، وأشار الى ما في كل واحدة من روعة وتفوق وجمال ، وقال إنَّ احمد شوقي قد بَذَّ ابن زيدون ، وإنَّ نونيته من الأعاجيب ، وقد أرسلها من الأندلس في أعقاب الحرب العالمية فضجَّ لها شعراء مصر ، وأجابه إسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وعبد الحليم المصري ، ولكنهم عجزوا جميعا عن الجري في ميدانه ، ولم يؤثر لهم في معارضته شيء ذو بال بالقياس إلى نونية أمير الشعراء))[٣٠] .

ولم يسلم شوقي من التأثر بغيره ، فالدكتور زكي مبارك يقول عن البيت :

يا ساريَ البرق يَرْمي عن جوانحنا بعد الهدوء ويَهْمي عن مآقينا

---

[٢٩] الموازنة بين الشعراء ص ٣٧٥ .

[٣٠] الموازنة بين الشعراء ص ٣٧٠ .

إنَّ شوقي اختلسه برفق وحذق من قول ابن زيدون :[٣١]

بنتم وبنا فما ابتلَّتْ جوانحنـــا شوقا اليكم ولا جَفَّتْ مآقينـا

وتأثر شوقي في النونية بغيره قليل ، ومن ذلك قوله :

فانْ يَكُ الجنسُ يا بن الطلْح فَرَّقنا إنَّ المصائب يجمعْنَ المصابينا

قريبٌ من قول البحتري :[٣٢]

ذاك عندي وليست الدارُ داري باقترابٍ منها ولا الجنس جنْسي

يريد شوقي جنسه وجنس الطائر ، ويريد البحتري جنسه الأعاجم .

وقد يكون بيتا شوقي اللذان طلب من جريـدة (الأهـرام) أن يُعرضا على الشاعر إسماعيل صبري بدايةَ نظم النونية ، ولعلـه فـي بيته :[٣٣]

ويا معطرة الوادي سَرَت سَحَرا فطابَ كلُّ طَروح من مراميـنـا

متأثر ببيت صبري :

يا نسمةً ضمخت أذيالها سحرا أزهـارُ أندلسٍ هُبِّي بوادينـا

وقوله :

لكنَّ مِصْرَ وإنْ أغضت علة مِقَة عينٌ من الخلْد بالكافور تسقينـا

على جوانبها رفَّـتْ تمائمنـا وحَوْلَ حافاتِها قامَتْ رَواقينـا

إشارة الى البيتين القديمين :[٣٤]

أحبُّ بلادِ اللَّهِ ما بين منْعَـجٍ اليّ وسلمى أنْ يصوبَ سَحابُها

بلادٌ بها نيطت عليَّ تمائمـي وأولُ أرضٍ مَسَّ جلدي ترابُها

وأشار الى ام موسى التي ألقت رضيعها في اليم :

---

[٣١] الموازنة بين الشعراء ص ٣٧٦ .

[٣٢] ينظر ديوان البحتري ج١ ص ١٩٤ .

[٣٣] ينظر الشوقيات المجهولة ج٢ ص ١٦٧ .

[٣٤] تنظر الحماسة البصرية ج٢ ص ١٢٩ .

كأمّ موسى ــ على اسم الله تكفلنا وباسمه ــ ذَهَبَتْ في اليم تُلقينا

خشية من أن يقتله فرعون ، وأمرها الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن تلقيه في اليم وطمأنها بأنه سيعيده إليها ، قال تعالى : ((وأوحينا إلى أُمِّ موسى أنْ أرضعيه ، فإذا خفْتِ عليه فألقيه في اليمّ ، ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوه اليك وجاعلوه من المرسَلين)) (سورة القصص ٧) . وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى على لسان أخت موسى : ((هل أدلكم على أَهْلِ بيتٍ يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون)) (سورة القصص من الآية ١٢) .

لقد شبَّهَ شوقي نفسه بموسى ــ عليه السلام ــ الذي ألقته أمه في اليم ، وقد نفي الى الأندلس ، وكان النفي أمانا له من بطش الإنكليز وعملائهم ، كإلقاء موسى ــ عليه السلام ــ في اليم خشية ان يقتله فرعون ، وكما كفلت أسرة فرعون موسى وأبقته حيا ، كفلت مصر شاعرها بان وهبته الحياة وهو في غربة النوى بعيدا عن بطش الانكليز وعملائهم الذين فضلوا العمى على الهدى .

وفي قوله :

ذكية الذيل لوخلْنا غلالتها قميصَ يوسُفَ لم نُحْسب مُغالينا

إشارة الى قميص يوسُفَ ــ عليه السلام ــ الذي رَدَّ البصر الى يعقوب ــ عليه السلام ــ حين ألقي على وجهه : ((إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وَجْهِ أبي يأتِ بصيرا ، وأتوني بأهلكم أجمعين . ولما فَصلَت العيرُ قال أبوهم : إني لأجِدُ ريحَ يوسُفَ لولا أنْ تُفندون . قالوا تاللهِ إنك لفي ضلالِكَ القديم . فلما أن جاءَ البشيرُ ألقاهُ على وَجْهه فارتَدَّ بَصيرا ، قال : الم أقُل لكم اني أعلم من اللهِ ما لا تعلمونَ)) (سورة يوسف ٩٣ ــ ٩٦) .

وفي قوله :

إعداه من يُمْنه التابوتُ وارتسمت على جوانبه الأنوارُ من سِينا

إشارة الى القاء تابوت موسى في النيل ، والى هجرته حيث شع نورُ النبوة وهو في سيناء ، قال تعالى : ((إذا رأى نارا فقال لأهله : امكثوا ، إني آنستُ نارا لعلي آتيكم منها بقَبسٍ أو أجدُ على النّارِ هُدى)) (سورة طه ١٠) وتنظر (سورة النمل ٧) . ولم يَكُ ما رأى موسى ـ عليه السلام ـ إلا النور الذي وجد عليه الهدى ، وهو النبوة التي كرمه الله بها .

وقوله :

ولم نَدَعْ لليالي صافيا فَدَعَتْ ((بأنْ نَغَصَّ فقال الدهْرُ آمينا))

من نونية ابن زيدون[٣٥] :

غيظ العدا من تَساقينا الهوى فدعوا بأن نَغَصَّ الدّهرُ آمينا

وقابل شوقي في بيته بين الخيري والنسرين :

لما نبا الخُلْدُ نابت عنه نسختُهُ تمائلَ الوردِ خيريا ونَسرينا

وقابل ابن زيدون بين الغضّ من الورد والنَّسرين[٣٦] :

يا روضة طالما أَجْنَتْ لواحظنا وَردا جلاه الصّبا غَضّا ونَسرينا

ولم يتبين محمد الهادي الطرابلسي المقابلة بين الأشياء في البيتين ، وان قال إنّ وجه الدلالة في مقابلة شوقي ((أبين مما هو عليه عند ابن زيدون[٣٧] . وذكر الموافقات بين مقاطع قصيدة ابن زيدون ومقاطع قصيدة شوقي وهي[٣٨] :

---

[٣٥] ينظر ديوان ابن زيدون ص ١٤١ ، وقلائد العقيان القسم الثاني ص ٢٤٦ .

[٣٦] ينظر ديوان ابن زيدون ص ١٤١ ، وقلائد العقيان القسم الثاني ص ٢٤٧ .

[٣٧] خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٢٦٢ .

[٣٨] ينظر خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٥٤٢ .

عوادينا ــ أفانينا ــ يثنينا ــ دينا ــ نَسرينا ــ أمانينا ــ مآقينا ــ رياحينا ــ أيدينا ــ تُحيينا ــ تأسينا ــ لينا ــ شينا ــ دينا ــ طينا ــ لياليا ــ آمينا ــ غِلينا .

وهي كلمات يستعملها كلُّ شاعر وكاتب ــ ولكنَّ ورودها في قصيدة شوقي تومئ الى استعمال ابن زيدون لها في نونيته التي سبقت نونية شوقي بقرون .

(٩)

في ضوء المنهج الذي دعونا اليه ، اتضح في دراسة نونية شوقي :

١ ــ الظروف التي قيلت فيها ومكان نظمها وزمانه .

٢ ــ دوافع نظمها وهي الحنين الى الوطن والشكوى من الغربة والألم .

٣ ــ الصلة بينها وبين نونية ابن زيدون .

٤ ــ الوقوف على لغتها وأسلوبها وصورها .

٥ ــ تلمس صلتها بالتراث .

٦ ــ احتفاظها بروحها الفنية وجمالها الرائع البديع.

ولولا الاخذ بهذا المنهج لأصبحت القصيدة معادلات جبرية ، واشكالا هندسية ، وخطوطا بيانية ، وماتت قبل موت احمد شوقي ــ رحمه الله ــ .

المصـــادر :

١ ــ الحماسة البصرية ــ صدر الدين بن أبي الفرج بــن الحــسين البــصري ــ تحقيق الدكتور مختار الدين احمد ــ حيدر آباد الدكن ــ الهند ١٣٨٣ هـــ ــ ١٩٦٤م .

٢ ــ خصائص الأسلوب في الشوقيات ــ محمد الهــادي الطرابلــسي ــ تــونس ١٩٨١م .

٣ ــ ديوان ابن زيدون ورسائله ــ شرحه وعلق عليه علي عبد العظيم ــ القاهرة ١٩٧٧م .

٤ ــ ديوان البحتري ــ طبعة صادر ــ بيروت ١٣٨١ هـ ــ ١٩٦٢م.

٥ ــ شرح ديوان الحماسة ــ أبو علي احمد بن محمد بن الحــسن المرزوقــي ــ نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥١م .

٦ ــ الشوقيات ــ احمد شوقي ــ طبعة مطبعة مصر ــ القاهرة .

٧ ــ الشوقيات المجهولة ــ احمد شوقي ــ بقلم الدكتور محمد صبري ــ القاهرة ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م .

٨ ــ شوقي شاعر العصر لحديث ــ الدكتور شوقي ضيف ــ الطبعــة الثالثــة ــ القاهرة ١٩٦٣م .

٩ ــ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ــ أبو نصر الفتح بن محمــد بــن عبيــد الله القيسي الاشبيلي الشهير بابن خاقان ــ تحقيق الــدكتور حــسين يوســف خريوش ــ الزرقاء ــ الأردن ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م .

١٠ ــ المرشد الى فهم اشعار العرب وصــناعتها ــ الــدكتور عبــد الله الطيــب المجذوب ــ القاهرة ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م .

١١ ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ــ حازم القرطاجني ــ تحقيق الدكتور محمــد الحبيب بن الخوجة ــ تونس ١٩٦٦م .

١٢ ــ الموازنة بين الشعراء ــ الدكتور زكي مبارك ــ القاهرة ١٩٦٨م .